توجهات المجتمع الفلسطيني نحو المواجهات الاخيرة

د. رائد نعيرات

0568333397

watannai@yahoo.com

مقدمة :

ان مصطلح المواجهات الاخيرة مصطلح عام اقتضته طبيعة المرحلة النضالية من حياة الشعب الفلسطيني ، نتيجة لامتداداته منذ ما يربوا على سبعة سنوات " انتفاضة السكاكين " او مواجهات الشيخ جراح ، او المواجهه الفلسطينية الاخيرة في قطاع غزة صيف 2020 م وانعاكاساتها على الثقافة السياسية الفلسطينية ، وتوجهات الشارع الفلسطيني.

شكلت المواجهات سلسلة من التساؤلات والتي اغلبها ما زال برسم الاجابة لغاية يومنا هذا ، سواء حول طبيعتها وعلاقتها بالبيئة الحزبية الفلسطينية المعاصرة ، او سؤال الاتصال والانفصال فيما يتعلق بمدى اعتبار ظاهرة المواجهات الاخيرة سلسلة من حلقات النضال الفلسطيني بطابع جديد ، وهناك من يرى ان الظاهرة مختلفه تماما سواء من ناحية السلوك النضالي للظاهرة وطبيعة توجهات الفاعلين ، او من ناحية مسار الظاهرة النضالية .

فمما لاشك فيه امتازت موجة المواجهات الاخيرة بمجموعة من السمات والخصائص جعلتها تتميز عن سابقاتها في المواجهات ، سواء من ناحية تمركزها وجغرافيتها "شمال الضفة الغربية " ، او من ناحية طبيعة شخوصها ، او اساليبها النضالية ، وحتى خطابها السياسي وسلوكها النضالي .

فعلى صعيد جغرافية المواجهات تمركزت حكالة جمعية في شمال الضفة الغربية وخذت عناوين واضحة ومميزة "كتيبة جنين" عرين الاسود " ، وحظيت بحاضنة شعبية كبيرة او كادت ان تكون مميزة وفقا لطبيعة المرحلة ومححداتها ، هذا طبعا لم يلغي المواجهات والعمليات الفردية والنوعية التي امتدت على مختلف مناطق الضفة الغربية والقدس ، ولكن لم تتبلور وتتكتل كحالة ومحاولة تشكيل بنية جامعة كما هو الحال في شمال الضفة الغربية .

اما على مستوى الشخوص في المواجهات الاخيرة فقد غلب عليهم انهم جميعا من فئة الشباب ، وتجمعوا خارج اطر التنظيم السياسي الممارس فلسطينيا ، فجميعهم اكد على عدم انتماءه لفصيل او حزب معين ، هذا طبعا لا يلغي انهم لديهم توجهات حزبية او انهم لديهم قيم حزبية معينه .

اما الميزة الاكثر مفارقة واستثنائية في المواجهات الاخيرة انها انطلقت عسكرية منذ اللحظة الاولى ، فتاريخيا تبدأ المواجهات الفلسطينية سلمية او شعبية وسرعان ما تبدأ بالتحول التدريجي نحو العمل العسكري ، اما المواجهات الاخيرة فعلى مختلف اشكالها اخذت الطابع العسكري سواء العمليات الفردية او التجمعات المسلحة ، وجميعها هدفت بالاساس الى استهداف جنود الاحتلال المتواجدين على الحواجز ، او المتواجدين داخل مركباتهم العسكرية .

اما على مستوى السلوك النضالي والخطاب السياسي فهنا نجد كذلك ميزة فارقة ميزت موجة المواجهات الاخيرة بعدة اتجاهات ، الاول انها استطاعت ان تقدم خطابا وسلوكا سياسيا يجعلها تتجاوز حالة الصدام المكشوف والعلني مع السلطة الفلسطينية ، ثانيا تم تقديم سياسي مقاوم يحتوي البساطة المفاهيمية واللغوية والبساطة الدينية .

اما على صعيد السلوك النضالي فهنا كذلك برز سلوك نضالي واضح انه يحمل اهداف عليا ، اذ ان المجموعات قدمت سلوكا نضاليا يلامس طبيعة الشباب الفلسطيني وشريحة الفئة العمرية ما بين 16-35 سنة ، سواء من ناحية الجرأة والاقدام في المواجهه او من ناحية خوض غمار العملية النضالية كاملا، وهذا السلوك تجاوز المقاومين والشهداء ليمتد كذلك الى اباءهم وامهاتهم ، فمن ناحية نجد ابو رعد ، وام ابراهيم النابلسي ، وام عدي التميمي ، وكذلك زوجة د. ابو التين ، جميعهم شكل حالة فارقة ومشهود لها في الالتفاف والتاييد للمقاومة شكلت حالة تكاد تكون كارزمية في الساحة الفلسطينية في الضفة الغربية اليوم ، كذلك محاولة مأسسة الحالة النضالية والحراك ضمن هذه الحالة مثل "امهات الشهداء " واباء الشهداء " ........

كما تميزت المواجهات الاخيرة بانها استطاعت ان تقود مواجهه دون الدخول في حالة صدام مع السلطة الفلسطينية ، رغم ان الاخيرة قامت ببعض المسلكيات الضدية بحق افراد المواجهات .

المواجهات والحاضنة الشعبية

حظت المواجاهات الاخيرة بدعم شعبي ونخبوي فلسطيني مميز ، او علا اقل تقدير انه تجاوز حالة الارتهان التي روج لها في السنوات الاخيرة من غياب الحاضنة الشعبية للفعل المقاوم في الضفة الغربية وتعود اسباب هذه الحاضنة الى مجموعة من العوامل ومن ابرزها :

اولا: فشل مشروع السلطة الفلسطينية سواء سياسيا او اجتماعيا او اقتصاديا ، وهذا ادى الى ضعف اقتدار السلطة الفلسطينية في كافة المجالات .

ثانيا: المواجه الفلسطينة في صيف عام 2022 م والتي قادت الى احياء النفس المقاوم في اوساط الشباب الفلسطيني وبناء ثقافة سياسية فلسطينية جديده منطلقة من اقتدار الشعب الفلسطيني ، فقد شهدت استطلاعات الرأي العام الفلسطيني انه منذ عام 2020 وهناك تاييد عام للمقاومة يربو على 53 % .

ثالثا: طبيعة المواجهات وشخوصها وطبيعة عملها:

أ) فهم مجموعات غير منظمة هيكليا وبالتالي واجه الاحتلال حالة من الضعف على ضربها بالضربة القاصمة ، ولذا وضع الاحتلال استراتيجية اطلق عليها " كسر الامواج " بهدف عدم السماح بانشار الظاهرة وتوسعها .

 ب) طبيعة شخوص المقاومة ، وهم شباب ما بين 18-35 سنة ولذا استطاعوا ان يحاكوا نفسية وطبيعة الشباب الفلسطيني بسرعة كبيرة ، فجميع الشباب المنخرطين في المواجهات هم بسطاء ماديا ، ومضحين بانفسهم ، ولهم سجل نضالي واضح سواء في علاقتهم مع الاحتلال او مع السلطة الفلسطينية ، حيث ان اغلبهم اعتقل عند السلطة والاحتلال قبل قيادتهم للمواجهات .

ج)بساطة الخطاب ووضوحه لعب دورا كبيرا في الالتفاف الشعبي والجماهيري ، فلم يكن الخطاب معقد ولا يحتوي على ابعاد سياسية ، بمقدار ما عبر عن نفس الشارع الفلسطيني والمواطن العادي والبسيط ، كما ان الخطاب المقاوم ترافق مع فعل على ارض الواقع .

رابعا: استغلال التكنولوجيا ، فعلى الرغم من ان هذا كان سلاح ذو حدين الا ان الاستخدام الواسع للتكنولوجيا عمل على نشر الفكرة باسرع وقت وباكبر مساحة ممكنه .

خامسا : استراتيجية عدم الانحياز لتنظيم معين ، هذا كذلك ساعد في انتشار الظاهرة والتاييد الواسع لها وذلك على صعيدين ، الاول انها استطاعت ان تحظى بتاييد العديد من ابناء الاجهزة الامنية في المستويات الدنيا من المؤسسة ، وذلك قدمت رؤية متجاوزه للمازق الفلسطيني والحساسية التنظيمية التي تشكلت في الضفة الغربية منذ الانقسام الفلسطيني .

سادسا: التبني الفتحاوي الاعلامي التنظيمي للظاهرة ساعد في انتشار الظاهرة حيث ان فتح اعلاميا تبنت اغلب الشهداء ، واقامت معسكرات تنظيمية باسماء بعض الشهداء مثل النابلسي ، او حتى تمت محاولت استغلال الظاهرة لتبيان ان الحركة ما زالت تسير في خط المقاومة ، وكذلك المؤسسة الامنية حيث ان العديد من الشهداء اباؤهم من المؤسسة الامنية .

**المواجهات : الانجازات والتحديات**

على الرغم من ان هناك من حاول ان يحمل المواجهات الاخيرة اكثر مما تحتمل تارة لتحمسة لها ولدعمه وتاييده ، وتارة اخرى الاحتلال واعداء المواجهات الذين ارادوا ان يحملوا المواجهات الاخيرة اكثر مما تحتمل ، كاستراتيجية لكي الوعي مجددا ، ولقد استخدمت استراتيجية مهمه تمثلت في تصوير ان الموجهات هي " عرين الاسود " ولذا تم تركيز كل الفعل الامني والسياسي على عرين الاسود لتبدو الحالة وكان الظاهرة قد انتهت وان المواجهات قد انتهت ، وان الاحتلال استطاع ان يهزم الحالة ، وهذا تحقق الى حد ما .

رغم كل ذلك لا يمكن تجاهل ما حققته المواجهات الاخيرة من انجازات رغم حجم الخسائر في عدد الشهداء الذي يصل الى ما يقارب 195 شهيد ومن ابرز هذه الانجازات :

اولا: اثبتت المواجهات الاخيرة قدرة الشعب الفلسطيني على الحفاظ على استمرار المقاومة بغض النظر عن كل السياسات والعقبات التي يشكلها الواقع .

ثانيا: اعادت المواجهات لثقافة المقاومة والسلوك المقاوم حضورة في اوساط فئة مهمة من الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وهم جيل الشباب الذي تم تحيده عن المقاومة لفترة طويله سابقة .

ثالثا: اثبتت المواجهات حجم تالالتفاف الشعبي الفلسطيني حول المقاومة وقدرته على تشكيل حاضنه اجتماعية للمقاومين .

رابعا: كان لتنوع اساليب المقاومة وما قدمه المقاومين من بطولات دورسا قد تشكل منحنى جديد في اي مواجهات سابقة .

خامسا: اظهر اهالي المقاومين شكلا جديدا في العلاقة بين المقاومة والاهالي ، حيث ان اغلب اهالي المقاومين انخرطوا في المقاومة بعد استشهاد ابناءهم بل ان البعض قام بعمليات مقاومة مع ابناءه "تركمان" وبعدها تحول الى مطارد .

اما التحديات فهي كذلك حاضرة ولا تزال تشكل تحديا لاي موجة مواجهات قادمة ومن ابرزها :

اولا: تحدي الحاضنة الرسمية او التاييد الرسمي من قبل السلطة الفلسطينية ، وهنا واجهت المواجهات اشكاليات كبيرة في الموائمة بين متطلبات المواجهات والحالة النضالية وامكانية الحفاظ على علاقة طبيعية مع السلطة الفلسطينية والاجهزة الامنية .

ثانيا: الهندسة الاجتماعية والاقتصادية للسكان والجغرافيا في الضفة الغربية ، حيث شكلت الحصارات للمدن ضغطا غير مسبوق على المقاومين ، نتيجة لطبيعة عمل السكان وتالتحولات الاقتصادية في المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية .

ثالثا: القدرة على الانتشار في نفس الزخم وتحول المواجهات لتعم مجتلف مناطق الضفة الغربية بدل الاستمرار في حيز جغرافي معين .

رابعا:بساطة المقاومين وبساطة تعاملهم مع المقاومة ، صحيح ان هذا ادى اتساع التاييد الجماهيري والشعبي ولكنه غير كاف لتحقيق انجاز على صعيد المقاومة ذاتها .